

قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾؟ يعني اولا يعلم هؤلاء القائلون لإخوانهم: «اتحدثونهم بما فتح الله عليكم» ﴿أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يَسِرُّونَ﴾ من عداوة محمد ﷺ ويضمرونه من أن إظهارهم الايمان به امكن لهم من اصطلامه وإبارة^(١) أصحابه .
﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمان ظاهرًا ليؤنسوهم، ويقفوا به على أسرارهم، فيذبحوها بحضرة من يضرمهم، وإن الله لما علم ذلك دبر لمحمد تمام أمره، وبلغ غاية ما أراه الله ببعثه وأنه يتم أمره، وأن نفاقهم وكيدهم لا يضره.^(٢)

فوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَ
إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿[٧٨-٧٩]

١٤٣- قال الإمام ﷺ: [ثم] قال الله عز وجل:

يا محمد، ومن هؤلاء اليهود ﴿أُمِّيُونَ﴾ لا يقرأون [الكتاب] ولا يكتبون كالأُمِّي منسوب إلى أم، أي هو كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل من السماء ولا المكذب به، ولا يميزون بينهما ﴿إِلَّا أَمَانِيًّا﴾ أي إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: [إن] هذا كتاب الله وكلامه لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما فيه، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما يقول لهم رؤسائهم من تكذيب محمد ﷺ في نبوته، وإمامة علي ﷺ سيد عترته، وهم يقلدونهم مع أنه محرّم عليهم تقليدهم .
قال: فقال رجل للصادق ﷺ: فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم؟

(١) «عداوته» (٢) «إبادة» خ. وكلاهما بمعنى «الإهلاك».

(٣) عند البحار: ٣١٦/٩ ح ١٢ باختصار، و٣٢٩/١٧ ضمن ح ١٦، و١٦٦/٧٠ ضمن ح ١٨، باختصار، وثبت الهداية: ٢/١٥ ح ٢٠٩ (قطعة). والبرهان: ١/٢٥١ ح ١، وعند البحار: ١٩/٢٦٥ ح ٦ وعن الإحتجاج: ١/٤٠ (قطعة).

فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم، لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم .
فقال عليه السلام: بين عوامنا وعلمائنا، وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة،
وتسوية من جهة، أما من حيث أنهم استووا، فإن الله قد ذم عوامنا بتقليد علماءهم
كما [قد] ذم عوامهم، وأما من حيث إنهم اختلفوا فلا .

قال: بين لي ذلك يا ابن رسول الله ﷺ!

قال عليه السلام: إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام
وبالرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات،
وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا
حقوق من تعصبوا عنده، وأعطوا ما لا يستحقه ممن تعصبوا له من أموال غيرهم،
وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم بأنهم يتدرفون المحرمات، واضطروا بمعارف
قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق، لا يجوز أن يصدق على الله، ولا على
الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمهم [الله] لما قلدوا من قد عرفوا، ومن قد
علموا أنه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدبه إليهم
عمن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ إذ كانت دلائله
أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم .

وكذلك عوام أمت إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر، والعصية الشديدة
والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح
أمره مستحقاً، وبالترفق بالبر والإحسان على من تعصبوا له، وإن كان للاذلال
والإهانة مستحقاً، فمن قلد من عوامنا [من] مثل هؤلاء الفقهاء، فهم مثل اليهود الذين
ذمهم الله تعالى بالتقليد لسفلة فقهاءهم .

فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر

مولاه فلعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا [في] بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم،
فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عناء

(١) «الذوق» ب «الترفق» الإحسان، المحار، والبرهان . وهي كلمة عن النطق .

شيئا، ولا كرامة لهم، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأن الفسقة يتحملون عنا، فهم يحرفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير مواضعها و] وجوهها لقلّة معرفتهم، وآخرين يتعمدون الكذب علينا ليحروا^(١) من عرض الدنيا ما هوزادهم إلى نار جهنم.

ومنهم قوم نصاب لا يتدرون على القدرح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون [بنا] عند نصابنا. ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقّبّه [المسلمون] المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا فضلوا أو أضلوا [هم].

وهم أضمرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي^(ع) وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وللمسلمين عند الله أفضل الأحوال لما لحقهم من أعدائهم، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبهون بأنهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا، فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحق الصيب. [لا جرم] أن من عنم الله من قابله من هؤلاء العوامّ - أنه لا يريد إلاّ صيانة دينه وتعظيم ونيّه، لم يتركه في يد هذا الملبس الكافر، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب، ثم يوقفه الله تعالى للقبول منه، فيجمع له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضله لعن الدنيا وعذاب الآخرة، ثم قال:

[قال] رسول الله ﷺ: شرار علماء أمتنا المضلون عنا القاطعون للطرف إلبنا، المسمون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون أضدادنا^(٢) بالقابنا. يصلون عليهم وهم للعين مستحقون، وبلغنونا ونحن بكرامات الله معمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا - عن صلواتهم علينا - مستغنون^(٣).

(١) البحرزاد، ج ١، ص ١٢٠.

(٢) أضدادنا، ج ١.

(٣) عنه البحار: ٢١٨/٩٠ حسن ج ١٢ (قطعة) وح ١٦٨/٧٠ ضد ج ١٨ (قطعة)، والبحار: ٢٥٦/١٠ ضمن ج ١، ومستدرک الامم سائل: ٢٠٦/١١ ج ٨ (قطعة)، وعنه المسائل: ٩٤/١٨ ج ٢٠ والبحار: ٢٠/٨٦ ضمن ج ١٢، وعن الاحتجاج: ٢٦٢/٢١ (وفيه تقدم تفسير الآية التالية) فويل لتدين يكتبون...^(٤) فويل حديث الامم الصدوق^(٥)، فلاحظ.